شرح منازل السائرين
للهروي

ŠARḤ MANĀZIL AS-SĀ'IRĪN

THE EXPLANATION OF AL-HARAWI'S BOOK "MANAZEL AL SA'EREEN"

شرح منازل السائرين للهروي

Author : *Al-Sheikh Sadid Ad-Din Abou Muhammed Abdul-Mu'ti Al-Lakhmi Al-Iskandari (D.650 H.)*

المؤلف : الشيخ سديد الدين أبي محمد عبد المعطي اللخمي الإسكندري (ت 650 هـ)

Editor : *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

المحقق : الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوف

Year : *1434 H. - 2013 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

Pages: *288*

عدد الصفحات : ٢٨٨

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ١٧ × ٢٤ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

ISBN : *978-2-7451-7787-2*

All Rights Reserved

Exclusive rights by © BOOKS - PUBLISHER Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © BOOKS - PUBLISHER Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة كتاب - ناشرون بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تخزينه على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon | كتاب - ناشرون بيروت - لبنان

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

ISBN-13: 978-2-7451-7787-2
ISBN-10: 2-7451-7787-7

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بسم اللَّه الواحد الأحد الحق المبين، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والظاهر بلا انكشاف والباطن بلا استتار، كان ولم يكن شيء غيره وهو الآن على ما عليه كان، خلق الإنسان بيده في أحسن تقويم واستخلفه في أرض ناسوت جسمه وسماء ملكوت قلبه وحقيقة جبروت روحه وسرّه، وحمّله أمانة توحيد ذاته وصفاته وأفعاله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: الآية 75]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: الآية 4]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: الآية 30]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: الآية 72].

والحمد للَّه تعالى الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير القائل تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: الآية 11]، والقائل تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: الآية 2].

وصلِّ اللهم على الإنسان الكامل والخليفة الحقيقي في أرض ملك شريعته، وسماء ملكوت طريقته، وسر جبروت حقيقته، سيد ولد آدم، النبي الخاتم، المبعوث رحمة للعالمين بما جاء لهم به من دين كامل جامع للإسلام والإيمان والإحسان المقابلة للعوالم الوجودية الملك والملكوت والجبروت، المقابلة لما تضمنه الإنسان من نفس وقلب وروح، فالإنسان يقابل عالم الملك بجسمه ونفسه،

ويقابل عالم الملكوت بعقله وقلبه، ويقابل عالم الجبروت بروحه وسرّه. قال اللّه تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: الآية 21]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فُصِّلت: الآية 53].

وبعد، ففي إطار معرفة الإنسان بنفسه الموصلة إلى معرفة ربه انطلاقاً من قوله ﷺ: «**مَن عرف نفسه عرف ربه**» وفي إطار نشر كتب التصوُّف الإسلامي بعد تحقيقها وتصحيحها وتنقيحها والتعليق عليها، نقدم للقرّاء الكرام كتاباً من أنفس كتب التربية والسلوك الشارحة للمقامات التي لا بد للمريد السالك إلى مقام الإحسان مقام توحيد الشهود والعيان من التحقق بها، ألا وهو كتاب «**شرح منازل السائرين**» المتن للشيخ الحافظ أبي إسماعيل عبد اللّه الهروي الحنبلي الأنصاري المتوفى سنة 481 هجرية. وقد ألّفه حين سأله جماعة من أهل هراة فأجاب ورتّب لهم فصولاً وأبواباً فجعله مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام، كل منها يحتوي على عشرة مقامات يجمعها رتب ثلاث:

الأولى: أخذ القاصد في السير، **الثانية**: دخوله في الغربة، **الثالثة**: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد.

والأقسام العشرة التي يقسم المقامات إليها هي: البدايات، والأخلاق، والأبواب، والأصول، والولايات، والنهايات، والمعاملات، والأودية، والحقائق.

وشرح الكتاب جماعة من العلماء منهم العارف باللّه تعالى الشيخ عبد الرزاق القاشاني المتوفى سنة 730 هجرية الذي وصف الكتاب بقوله: وهو كتاب فاق على كل ما صنِّف في هذه الطريقة. وشرحه الشيخ شمس الدين محمد التبادكاني الطوسي المتوفى سنة 891 هجرية وسمَّاه «تسنيم المقربين في شرح منازل السائرين» وشرحه الشيخ محمود بن محمد الدركزيني المتوفى سنة 743 هجرية وسماه (تنزيل المسافرين) وشرحه الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي المتوفى سنة 751 هجرية وسماه «مدارج السالكين». واختصرته العارفة باللّه تعالى الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته «الإشارات الخفية في المنازل العلية»، وشرحه العارف باللّه المحقق الشيخ عفيف الدين التلمساني بن علي

التلمساني المتوفى سنة 690 هجرة. وشرحه الشيخ عبد المعطي اللخمي الإسكندري المتوفى سنة 650 هجرية، وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

ويعود الفضل في نشر هذا الكتاب للمرة الأولى للأب س. دي لوجيبه دي بوركي الدومنكي.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات التي يمرّ بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية، التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى التحقق بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: الآية 99]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة؛ المُلْك والملكوت والجبروت؛ مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء». وقوله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أسرار ما تعبّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النّجم: الآيتان 3، 4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾ [النِّساء: الآية 69] لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: الآيتان 22، 23].

كتبه الشيخ الدكتور عاصم ابراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة الماتن شيخ الإسلام عبد اللَّه الأنصاري الهروي رضي اللَّه عنه[1] 396 هجرية ـ 481 هجرية

هو الإمام الجليل القدوة الحافظ الكبير، الصوفي العارف باللَّه تعالى إمام الحنابلة: شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد اللَّه بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهَرَويّ. أما نسبته للأنصاري فقد كان من ذرية سيدنا أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي اللَّه عنه صاحب رسول اللَّه صلّى اللَّه تعالى عليه وسلّم وعلى آله. أما نسبته «الهروي» فهي نسبة إلى مدينة «هراة» التي وُلد بها.

كان يلقب بـ«شيخ الإسلام»، وبـ«خطيب العجم» لفصاحته وعلمه ونبله. وكان رضي اللَّه عنه حافظاً للحديث، بارعاً في اللغة، قطباً محققاً في التصوف، عارفاً بالتاريخ والأنساب.

---

(1) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب شرح منازل السائرين لكل من الدكتور محمد نصار والأستاذ أحمد عبد الحميد وهما اقتبساها بدورهما من كتاب «شيخ الإسلام عبد اللَّه الأنصاري الهروي ـ مبادئه وآراؤه الكلامية والروحية» وهو عبارة عن رسالة دكتوراه في العقيدة والفلسفة للدكتور محمد سعيد عبد المجيد سعيد الأفغاني، وعليها اعتمد عبد اللَّه ابن محمد الأنصاري في مقدمة كتابه «ذم الكلام» طبع مكتبة الغرباء الأثرية. وقد ترجم له رضي اللَّه عنه في العديد من المصادر منها: «العبر في خبر من غبر» للذهبي: سنة إحدى وثمانين وأربعمائة (2/ 343)، سير أعلام النبلاء (18/ 305)، تذكرة الحفاظ (3/ 1183)، الأعلام للزركلي (4/ 122)، طبقات المفسرين للإمام السيوطي (1/ 9)، شذرات الذهب (3/ 365، الذيل على طبقات الحنابلة للسبكي (1/ 64)، نفحات الأنس للعارف الجامي رضي اللَّه عنه (1/ 468 ترجمة 397)، روضات الجنات (5/ 115).

● مولده:

ولد العارف الهروي يوم الجمعة الثاني من شعبان سنة ست وتسعين وثلاثمائة 396 هجرية بقندهار بـ«هراة» الواقعة في إقليم «خراسان» الذي يقع جزء منه اليوم في «أفغانستان»، وجزء في «إيران»، وجزء في الاتحاد السوفيتي ـ قبل تقسيمه ـ وقد كانت «هراة» من نصيب القسم الأول، إذ تقع في الشمال الغربي من أفغانستان قرب الحدود الأفغانية ـ الإيرانية.

● الشيوخ الذين سمع منهم:

وسمع من عبد الجبّار بن محمد الجرّاحي «جامعَ» أبي عيسى كله أو أكثره، والقاضي أبي منصور محمد بن محمد الأزدي، وأبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي الحافظ، وأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد السرخسي، خاتمة أصحاب محمد بن إسحاق القرشي، وأبي الفوارس أحمد بن محمد بن أحمد بن الحُويِّص البوشنجي الواعظ، وأبي الطاهر أحمد بن محمد بن حسن الضبّي، وأحمد بن محمد بن مالك البزّار ـ لقي أبا بحرٍ البَرْبَهاري ـ وأبي عاصم محمد بن محمد المزيدي، وأحمد بن علي بن مَنْجويه الأصبهاني الحافظ، وأبي سعيد محمد بن موسى الصيرفي، وعلي بن محمد بن محمد الطرازي، وأبي نصر منصور بن الحسين بن محمد المفسر، وأحمد بن محمد بن الحسن السّليطي، وأبي بكر أحمد بن الحسن الحيري لكنه لم يرو عنه، ومحمد بن جبرائيل بن ماحي، وأبي منصور أحمد بن محمد بن العالي، وعمر بن إبراهيم الهروي، وعلي بن أبي طالب، ومحمد بن محمد بن يوسف، والحسين بن محمد بن علي، ويحيى بن عمّار بن يحيى الواعظ، ومحمد بن عبد اللَّه بن محمد بن إبراهيم الشيرازي لَقِيَه بنيسابور، وأبي يعقوب القَرّابِ الحافظ إسحاق بن إبراهيم بن محمد الهروي، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الورّاق، وسعيد بن العباس القرشي، وغالب بن علي بن محمد، ومحمد بن المنتصر الباهلي المُعَدّل، وجعفر بن محمد الفِريابي الصغير، ومحمد بن علي بن

الحسين الباشاني، صاحب أحمد بن محمد بن ياسين، ومنصور بن رامش ـ قدم علينا في سنة سبع وأربعمائة ـ وأحمد بن أحمد بن حمْدين، والحسين بن إسحاق الصائغ، ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكِّي، وعلي بن بُشرى الليثي، ومحمد بن محمد بن يوسف بن يزيد، وأبي صادق إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن محمد بن محمود، وعلي بن أحمد بن محمد بن خَمرويه، ومحمد بن الفضل بن محمد بن مُجاشع، ومحمد بن الفضل الطاقي الزاهد، وعدد كثير ومِنَ أقدم شيخٌ له الجرّاحي، سمع منه في حدود سنة عشر وأربعمائة. ويَنزلُ إلى أن يروي عن أبي بكر البيهقي بالإجازة. وقد سمع من أربعة أو أكثر من أصحاب أبي العباس الأصم.

● الشيوخ الذين حدّثوا عنه:

حدّث عنه: المُؤتمن الساجي، ومحمد بن طاهر، وعبد اللَّه بن أحمد بن السمرقندي، وعبد اللَّه بن عطاء الإبراهيمي، وعبد الصبور بن عبد السلام الهروي، وأبو الفتح عبد الملك الكَرُوخي، وحنبل بن علي البخاري، وأبو الفضل محمد بن إسماعيل الفامي، وعبد الجليل بن أبي سعد المُعَدّل، وأبو الوقتِ عبد الأوّل السّجْزي خادِمُه، وآخرون. وآخرٌ من روى عنه بالإجازة أبو الفتح نصرُ بن سيّار، وبقي إلى سنة نيف وسبعين وخمسمائة.

● من صفاته:

كان رضي اللَّه عنه آية في التذكير والوعظ. عالماً عارفاً، وعابداً زاهداً، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات، يكتفي باليسير من الدنيا، وإذا اجتمع عنده منها شيء قام بتوزيعه! وكان كثير السهر بالليل، شديد القيام في نصرة السُّنَة، والذب عنها، وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة. وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام أحمد رضي اللَّه عنه، ومن قوله فيه: «مذهبُ أحمد: أحمدُ مَذْهَب».

● من خصائصه:

أنه كان إذا حضر المجلس لبس الثياب الفاخرة، وركب الدواب الثمينة، والمراكب المعروفة، وتكلّف غاية التكليف، ويقول: «**إنما أفعلُ هذا إعزازاً للدين، ورغماً لأعدائه، حتى ينظروا إلى عزّي وتجملي، فيرغبوا في الإسلام إذا رأوا عزّه**». ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقعة والقعود مع الصوفية في الخانقاه، يأكل معهم ما يأكلون، ويلبسُ ما يلبسون، ولا يتميز في المطعوم والملبوس عن آحادهم. على هذا كان يزجي أيامه، وكل ما نقل عنه من سيرته محمود.

ومن جملة ما أخذه أهل هراة عنه من محاسن سيرته: التبكيرُ بصلاة الصبح، وأداءُ الفرائض في أوائل وقتها، واستعمالُ السّنن والأدب فيها.

ومن ذلك: تسميةُ الأولاد في الأغلب بالعبد، المضاف إلى اسم من أسماء اللَّه تعالى: كعبد الخالق، وعبد الخلاق، وعبد الهادي، وعبد الرشيد، وعبد المجيد، وعبد المعز، وعبد السلام. إلى غير ذلك مما كان يحثّهم ويدعوهم إلى ذلك، فتعوّدوا الجريَ على تلك السنَّة، وغير ذلك من آثاره.

● علم الإمام الهروي رضي اللَّه عنه:

كان الشيخ رحمه اللَّه آية في التفسير، وحفظ الحديث، ومعرفته، ومعرفة اللغة والأدب. وكان يُفَسّر القرآن في مجلس التذكير.

وذكر الكتبي في تاريخه: أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن، ففسره في مجالس التذكير، سنة ست وثلاثين. وفي سنة سبع وثلاثين افتتح القرآن يفسره ثانياً في مجالس التذكير.

قال: وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع، إلى أن بلغ إلى قوله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: الآية 165]. فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة، وبنى عليها مجالس

كثيرة. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: الآية 101]، بني عليها ثلاثمائة وستين مجلساً. فلما بلغ قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: الآية 43] كُفّ بصره سنة ثلاث وسبعين، ولما بلغ إلى قوله عزّ وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: الآية 17] قال: «في كل اسم من أسماء اللَّه تعالى سر خفي». وأخذَ يُفسِّر خفايا الأسماء حتى بلغ «المميت»، فأُخرج من البلد في الفتنة الأخيرة. فلما عاد سنة ثمانين، عقد المجلس على أمر جديد، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى. وأخذ يستعجل في التفسير، ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها، يريد أن يختم في حياته، فلم يقدّر له على ذلك وتوفي، وقد انتهى إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: الآيتان 67، 68].

وقال ابن طاهر الحافظ: سمعت شيخنا الأنصاري يقول: «إذا ذكرتُ التفسيرَ فإنما أذكرهُ من مائة وسبعة تفاسير». قال: وجرى يوماً ـ وأنا بين يديه ـ كلامٌ، فقال: «أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سرداً»، قال: «وقل ماذَكَرَ في مجلسه حديثاً إلا بإسناده، وكان يشير إلى صحته وسقمه».

وحكى الرهاوي عن بعضهم قوله: سمعتُ بعض الأدباء يقول: سئل شيخ الإسلام الأنصاري عن تفسير آية، فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية في كل بيت منها لغة تلك الآية. ومن فوائده ما نقله ابن طاهر الحافظ قال: سمعت أبا إسماعيل الأنصاري يقول: «كتابُ أبي عيسى الترمذي عندي أفيدُ من كتاب البخاري ومسلم»، فقلتُ: لِمَ، قال: «لأن كتاب البخاري ومسلم لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة. وهذا كتاب قد شرح أحاديثه وبيّنها، فيصل إلى فائدته كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدِّثين وغيرهم».

قال الرُّهاوي: وقد رأيتُ كرسي شيخ الإسلام قليل المراقي في زاوية من جامع هراة، والناس يتبركون به. والتبرك بآثار العلماء والصالحين جائز خلافاً لمن منعه من المبتدعة المعاندين للكثرة الهائلة من الآثار الواردة في ذلك، مدعين أن ذلك شرك، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: الآية 5].

ثناء الشيوخ والعلماء عليه رضي اللَّه عنه:

أثنى على الإمام الهروي شيوخه وأقرانه، ومن دونه من الفقهاء، والمحدثين والصوفية، والأدباء وغيرهم. حتى قال سعد الزنجاني فيه: «إن اللَّه حفظ به الإسلام، وبابن منده».

وقال الرّهاوي: سمعتُ بهراة: أن شيخ الإسلام لما أخرج من هراة، ووصل إلى مرو، وأذن له في الرجوع إلى هراة، ووصل إلى مرو الروز، قصده الإمام البغوي الفرَّاء، صاحب التصانيف، فلما حضر عنده قال لشيخ الإسلام: «إن اللَّه قد جمع لك الفضائل، وكانت قد بقيت فضيلة واحدة، فأراد أن يكملها لك، وهي الإخراج من الوطن، أسوة برسول اللَّه ﷺ».

وذكر الحسين بن محمد الكتبي في تاريخه أنه صحح على الإمام ناصر المروزي بنيسابور وسط تلاميذه رواية ذكر فيها أنه رُوي عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية 114]، فقال العارف الهروي: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: الآية 8]، فقال المروزي: صدقتَ ورجع إلى قوله، وحثَّ القوم على إثباته وتعليقه.

واجتمع العارف الهروي بسيدي أبي الحسن الخرقاني رضي اللَّه عنه أحد أكابر المشايخ لا سيما سلسلة النقشبندية الموسومة بالسلسلة الصديقية، وكان سيدي أبو الحسن الخرقاني يحسن الثناء عليه ويلاطفه في المخاطبة.

وذكره أيضاً الإمام عبد الغافر الفارسي في «تاريخ نيسابور»، فقال: لم يرَ أحد من الأئمة في فنه حُلماً ما رآه عياناً من الحِشْمَة الوافرة القاهرة، والرونق الدائم، والاستيلاء على الخاص والعام، في تلك الناحية واتساق أمور المريدين والأتباع والغالين في حقه، والتئام المدارس والأصحاب والخانقاه، ونواب المجالس، إلى غير ذلك مما هو أشهر من أنه يحتاج إلى الشرح.

وله رضي اللَّه عنه شعر كثير حَسَنٌ جداً. ولأجل هذا ذكره الباخرزي الأديب

في كتابه «دمية القصر في شعراء العصر» وله كلام في التصوف والسلوك دقيق. ومن أجله كتابه «منازل السائرين» الذي شرحه بين يدي القارئ الكريم.

قال أبو سعد السمعاني: «كان مُظهراً للسنَّه، داعياً إليها، مُحرّضاً عليها، وكان مكتفياً بما يباسط به المريدين، ما كان يأخذ من الظَلَمة شيئاً، وما كان يتعدى إطلاق ما ورد في الظواهر من الكتاب والسنَّة، معتقداً ما صحّ، وغير مصرّح بما يقتضيه تشبيه أو تجسيم، ومن قوله رضي اللّه عنه: «مَن لم ير مجلسي وتذكيري فطعن فيّ، فهو مني في حِلّ».

وذكر ابن ظاهر الحافظ في كتابه المذكور قال: سمعت الإمام عبد اللّه بن محمد الأنصاري يُنشد على المنبر في يوم مجلسه بهراة:

أنا حنبليٌ ما حييتُ وإن أمت فَوُصِيتي للناس أن يَتَحَنبلُوا

قال أبو طاهر: وسمعته بهراة: عرضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك. ولكن يقال لي: اسكت عمن خالفك. فأقول: لا أسكت.

وكان الشيخ رحمه اللّه مقبولاً عند العامّة والخاصّة، ولذلك كان محسوداً من كثيرين، وقد سعوا بدمه مراراً ـ على ما نقله الذهبي ـ ولم يتمكنوا، بل صار ذلك سبب إقبال الناس إليه.

ومما حكاه الذهبي في ذلك: لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ودخلوا على أبي إسماعيل وسلموا عليه وقالوا: ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك. وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً من نحاس صغيراً وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا. وقام الشيخ إلى خلوته ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري وأنه مجسم وأنه يترك في محرابه صنماً يزعم أن اللّه تعالى على صورته وإن بعث السلطان الآن يجده، فعظم ذلك على السلطان وبعث غلاماً وجماعة فدخلوا وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم فألقى الغلام الصنم فبعث السلطان من أحضر الأنصاري فأتى فرأى الصنم والعلماء وقد اشتد غضب السلطان فقال له السلطان: ما هذا؟ قال: صنم يعمل

من الصفر شبه اللعبة، قال: لست عن ذا أسألك، قال: فعم يسألني السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا وأنك تقول إن اللّه على صورته، فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت جهوري: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: الآية 16]، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً وقال لهم: اصدقوني، وهددهم، فقالوا: نحن في يد هذا في بلية من استيلائه علينا بالعامة فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم ووكل بهم وصادرهم وأخذ منهم وأهانهم.

• مؤلفاته رضي اللّه عنه:

ألّف الشيخ في التفسير والحديث والتصوُّف والعقيدة والتراجم، وغير ذلك، ومن مؤلفاته:

كتاب «الأربعين في دلائل التوحيد» طبع، وكتاب «الأربعين في السنّة»، وكتاب «الفاروق في الصفات»، وكتاب «ذم الكلام وأهله» طبع، وكتاب «مناقب الإمام أحمد»، وكتاب «الرسالة». قيل إنه مؤلّف يبحث في إسناد الموجودات إلى الخالق سبحانه وتعالى، وكتاب «علل المقامات» وهو رسالة صغيرة في التصوّف، أملاها الشيخ رضي اللّه عنه في أواخر حياته، وقد طُبعت في دمشق سنة 1956، و«تفسير القرآن الكريم» باسم «كشف الأسرار وعدة الأبرار»، وقد ذكر في بعض المراجع باسم «تفسير الإمام الهروي»، ألّفه الشيخ رضي اللّه عنه باللغة الفارسية، وطُبع في إيران، وكتاب «طبقات الصوفية» وهو كتاب باللغة الفارسية، أملاه شيخ الإسلام على تلاميذه أثناء شرحه لكتاب «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمٰن السلمي رضي اللّه عته المتوفى سنة 412، طُبع في «كابل» عام 1962 م، وقد جمع الشيخ العارف عبد الرحمٰن الجامي رضي اللّه عنه كتاب الشيخ الهروي، ورتّبه، وزاد عليه، في كتاب بالفارسية سماه «نفحات الأنس» وعرّبه مولانا تاج الدين العثماني الهندي النقشبندي المتوفى سنة 1050، وهذا الأخير مطبوع عدة طبعات آخرها بالعلمية ببيروت بتحقيق محمد أديب الجادر،

وكتاب «خلاصة في شرح حديث: كل بدعة ضلالة»، وكتاب «باب في الفتوة»، منه نسخة مصورة منه في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، برقم (95)، وكتاب «المختصر في آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق» وهو رسالة ألّفها الشيخ رضي اللَّه عنه باللغة الفارسية، وقد تُرجمت إلى اللغة العربية، وطبعت في مصر سنة 1960 م. وكتاب «شرح التعرُّف لمذهب التصوُّف» شرح فيه الشيخ رضي اللَّه عنه كتاب «شرح التعرُّف لمذهب التصوُّف» للإمام محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي رضي اللَّه عنه، المتوفى سنة 380 هجرية، وغير ذلك كثير.

• وفاته رضي اللَّه عنه:

تُوفي الشيخ رضي اللَّه عنه يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشرين ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. ودُفن يوم السبت في (كَازِيَارِكَاه) قرية قرب هراة. وكان يوماً كثير المطر، شديد الوحل. وقد كان الشيخ يقول في حياته: «إن استأثر اللَّه بي في الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر»؛ فصدّق اللَّه ظنه في ذلك.

وقال أبو نصر الفامي: توفي أبو إسماعيل في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وقد جاوز أربعاً وثمانين سنة.

ترجمة الشارح(*)

* هو سديد الدين أبو محمد عبد المعطي بن أبي الثناء محمود بن عبد المعطي اللخمي الاسكندري، فهو من أصل مغربي أقام في مدينة الاسكندرية بعد عودته من أداء فريضة الحج المبارك.

* كان عالماً جليلاً متبحراً في العلوم، قيل ولد حوالى سنة 575 هجرية وتوفي منتصف القرن السابع حوالى 650 هجرية.

* وله مؤلفات عدة منها:

شرح الرسالة القشيرية، وشرح الرعاية للمحاسبي، وكتاب الحدود، ولقد وصل إلينا فقط شرح الرسالة القشيرية الذي اهتم بطبعه الدكتور أبو العلاء عفيفي الذي كان استاذاً بجامعة الاسكندرية. وله أيضاً مخطوط لكتاب رابع عنوانه: «إرشاد السالكين إلى الجمع بين طرق المحققين من الفقهاء والمريدين». موجود في مكتبة طنجة ويقع في مجلدين ضخمين مكتوبين بالخط الشرقي.

(*) مقتبسة من كتاب أنصاريات للأب س. دي لوجييه دي بوركي الدومنكي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عونك اللّهم!

الحمد لله الواحد في ذاته وصفات الكمال، القدوس المنزه عن النقص والزوال، الفاعل بقدرته ما يشاء من الأفعال، المخصص بإرادته من شاء بما شاء من سنيّ الأحوال، العالم بخفيات السرائر وما يكون في المآل، الذي أفعم قلوب أوليائه بلطائف منته والإقبال، وأطلق ألسنتهم بمجامع الكلم المحتوية على غرائب الحكم بالإشارات والأمثال، والصلاة على سيد المرسلين المخصوص بمحبته وعلى آله خير آل، صلاة دائمة مستمرّة من غير فتور ولا إخلال، وسلّم كثيراً.

أما بعد، فقد تكرر من بعض الإخوان، السالكين لطريق الرحمن، ممن أرجو بإسعافه بطلبته إسعاف المتفضل المنّان، وإصلاح الدين والنقلة في رتب الإيمان والإحسان، السؤال منه إليّ في شرح كلام هذا الحبر الإمام، المنعوت بشيخ الإسلام، وتقريب ما تضمنه من الإشارات إلى الأفهام، والتنبيه على المعاني التي أشار إليها من الفرق بين مراتب العامة والخاصة في مقامات السالكين ورتب المقربين والأعلام، فاستخرت الله سبحانه وسألته، ورغبت إليه في الإعانة والتوفيق ودعوته، وإن كنت لا أرى نفسي أهلاً لشرح كلام هذا الحبر الكبير، المحتوي من علوم العقل والنقل على الكثير، والمتصف بجميل الأحوال ثمرات الجد في السلوك والتشمير، ولكني دعوت الله سبحانه بتقريبي معانيه لأفهام المريدين المجتهدين من السالكين، وبيان ما أشار إليه من مقامات المتقين في الدين، ودرجات المقربين، أن يتحرك بذلك للسلوك ذو جد لما يراه من التسهيل والتقريب، فيأخذ من همته وبركته بنصيب، فإن الدال على الخير كفاعله. ويكون ذلك إن شاء الله سبباً للنهوض إليه مع الإخوان، والتعلّق بأذيال

أهل التوحيد وكمال العرفان، والله سبحانه هو المسؤول في الحفظ من الزلل، والتوفيق في القول والعمل.

فصل

ووقفت على كلامه رضي الله عنه على حسب الإمكان وقوف من يريد أن يَفهم، ويتكلم ليُفهم ولا يتكلم فيما لا يعلم، والمقصود من شرحنا كلام هذا الإمام، تقريب ما أشار إليه من الأحوال لأفهام بعض المنكرين ممن يزعم أنه من ذوي الأحلام، ويستبعد وصول العبد إلى ما ذكره من الأحوال، فإنه لا يفهم من الفناء إلا انحلال الأجرام، وانفصال أجزاء الأجسام، ويقول: «كيف يمكن ذهاب الإدراك عن العبد للعلوم شغلاً بالمعلوم، أو يغفل عن الإدراك لنفسه والرسوم، مع بقائه مدركاً لجلال ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]؟ وكيف يفنى عن إدراكه لنفسه، وهو مدرك لغيره، ولا يفنى لإدراكه، إلا بقيام الإدراك به، وكيف يقوم به ما لا يدركه؟» ونحن بعون الله تعالى نبين ذلك ونقربه بالأمثال، ليقرب ممّا يجري على أكثر أرباب الاستغراق في الأشغال، ونرشد إليه إن شاء الله بأحسن مقال وأوضح بيان، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ [يُوسُف: الآية 18].

فصل

وقد رأيت والله الموفق أن أذكر كلام هذا الإمام من أول خطبته إلى آخره، ونتتبعه بالشرح والتنبيه على مراتبه، وعلى تقارب درجاته في كل باب، والله الموفق للصواب، بمنّه وكرمه. وما كان من توفيق للصواب فالله سبحانه هو المتفضل بذلك ومسديه، وما كان من خطأ فنسأله أن يصرفنا عنه ويزويه، فهو أهل الإحسان، والجود والامتنان، آمين رب العالمين.

وأنا أقول: أول كل شرح لي: «اللَّه أعلم»، لاحتمال أن يكون مراده ما لم أفهم، والله المسلم بمنّه وكرمه.

هذا أول كلام هذا الإمام، المنعوت بشيخ الإسلام، رضي الله عنه: **بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.**

قال الشيخ العارف الكامل الموحد المحقق الإمام السيد الأجل شيخ

الإسلام إمام الأئمة شيخ الشيوخ ناصر السُنَّة أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي قدَّس الله روحه:

الحمد لله الواحد الأحد القيّوم الصمد اللطيف القريب، الذي أمطر سرائر العارفين كرائم الكلم، من غمائم الحكم، وألاح لهم لوائح القدم، من صفائح العدم، ودلهم على أقرب السبل إلى المنهج الأول، وردهم من تفرق العلل إلى عين الأزل، وبث فيهم ذخائره، وأودعهم سرائره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأول الآخر الظاهر الباطن، الذي مد ظل التلوين على الخليقة مداً طويلاً، ثم جعل شمس التمكين لصفوته عليه دليلاً، ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه قبضاً يسيراً، وصلواته وسلامه على صفيه الذي أقسم به في إقامة حقه محمد وآله كثيراً.

قلت: فأما قوله في خطبته رضي الله عنه **أمطر سرائر العارفين كرائم الكلم** يعني أحسن معاني الكلم من الحكمة البالغة، **وألاح لهم** أي أراهم آيات ما سبق في قدمه بجريانه على خلقه من تصريفهم فيما أجراه عليهم. ونعتهم بالعدم الذي إليه مصيرهم وزوالهم من **الدنيا كما قال تعالى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر: الآية 30] لما يؤول إليه أمرهم.

وقوله: **ودلهم على أقرب السبل إلى المنهاج الأول** يعني الطرق إلى المنهاج الأول، أي عرفهم بحقيقة أنفسهم وأن أصلهم العدم ومآلهم إليه. وقوله؛ **وردهم من فرّق العلل إلى عين الأزل** أي جمع هممهم عن الأسباب، **إلى ما سبق** لهم عند رب الأرباب.

وقوله **وبث فيهم** أي في قلوبهم، ألقى فيها ذخائره أي ما يشرف عنده ويكرم لديه ممّا ستره عن غيرهم ولا يخلقه لهم.

وقوله: **الذي مد ظل التلوين على الخليقة مداً طويلاً، ثم جعل شمس التمكين لصفوته عليه دليلاً، ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه قبضاً يسيراً** معناه أنه سبحانه شغل أكثر الخلق بالوقوف مع الأسباب وتوحيدهم لا يجذبهم إلى الحق، وهذه الحال هي المعبر عنها بالتلوين لتغييرها؛ **ثم جعل شمس التمكين** في التوحيد على الحق دليلاً، **وقبض** بهذا التمكين **ظل التفرقة عنهم قبضاً يسيراً**؛

وأضاف الظل إلى التفرقة لأن الظل ساتر ضوء الشمس قليلاً قليلاً رفقاً بالعباد، وسلوكاً بهم على وجه السداد.

قال الشيخ وفقه الله تعالى: **وبعد فإن جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق عز اسمه، من الفقراء، من أهل هراة والغرباء، طال عليّ مسألتهم إياي زماناً. أن أبين لهم في معرفتها بياناً، يكون على معالمها عنواناً، فأجبتهم بذلك بعد استخارتي الله واستعانتي به. وسألوني أن أرتبها لهم ترتيباً يشير إلى تواليها، ويدل على الفروع التي تليها، وأن أخليه من كلام غيري وأختصره ليكون ألطف في اللفظ وأخف للحفظ.**

قال الشيخ وفقه الله تعالى: **وإني خفت أني إن أخذت في شرح قول أبي بكر الكتاني «إن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة» طولت عليّ** وعليهم، فذكرت **أبنية تلك المقامات التي تشير إلى تمامها، وتدل على مرامها.**

قلت: وقوله: **«إن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة»** كيف يكون فيها ظلمة مع أنها كلمة مقامات في الطاعات، ودرجات في القربات؟ ووجه ذلك أن الظلمة عبارة عن شيء ساتر مانع عن الإدراك، ومن وقف مع مقام أو حال وقوف سكون إليه أو استحسان أو اعتماد قد يكون حجبه ذلك عن رؤية ما هو أرفع منه فضلاً عن طلبه والسعي في الاتصاف به. فهذا وجه كلام أبي بكر الكتاني (والله أعلم).

قال الشيخ وفقه الله. **وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ما قال أبو عبيد البُسْري: إن لله عباداً يريهم في بداياتهم ما في نهاياتهم** اهـ.

قلت: لأنه رضي الله عنه ذكر في كل مقام ثلاث مقامات: أهل البداية والأوساط والنهاية؛ فإذا صحّ قصد السالك في فهم ما أشار إليه من المقامات العالية وتعلقت همته به مع صحة قصده وكمال صدقه وجدّه، نال منها الغايات إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ وفقه الله: **ثم إني رتبت لهم فصولاً وأبواباً يغني ذلك الترتيب عن التطويل المؤدي إلى الملال، ويكون مندوحة عن التسآل، فجعلته مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام.**

قلت: وقد أتى الشيخ وفقه الله بنوع مما نقله عن الكتاني، وذلك أن المائة مقام المقسومة على عشرة أقسام، إذا قسم كل مقام منها إلى ثلاثة أقسام، قاربت ألفاً. بل زاد هذا الإمام على ذلك وقسم كل باب من العشرة على ثلاث درجات وجعل في أكثر الدرجات مراتب، فيكون على هذا أكثر من ألف مقام بين العبد وبين الحق. وإذا انقطعت عنه هذه الحجُب وصل إلى مقام التوحيد والمشاهدة، ولكل من الخلق جعل الله شرعةً ومنهاجاً موصلاً إليه.

قال الشيخ وفقه الله: **وقد قال الجنيد: قد يُنقل العبد من حال إلى حال هو أرفع منه وقد يبقى عليه من التي نُقل عنها بقية فيُشرف عليها من الحالة الثانية فيصلحها** اهـ.

وعندي أن العبد لا يصح له مقام حتى يرتفع عنه ثم يُشرف عليه فيصححه.
قلت: ووجه ما قاله الشيخ الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد رضي الله عنه ظاهر، فإنه ليس بمُحال عقلاً أن يصحح العبد المقام الأول ويمكنه الله فيه قبل أن ينقله إلى ما هو فوقه. نعم قد ينقله إلى ما فوقه وقد بقيت عليه من الأول بقية فيطلع عليها بانتقاله إلى ما هو أرفع وأتم، فيُشرف على ما كان مستتراً عنه فيه من آفات الأعمال وخدع النفوس.

ومثاله أن مقام القناعة باليسير من الدنيا محمود، ولكنه ما دام شره العبد قوياً وحدّة نفسه باقية فهو منعوت. فإن تعالت همته وأمده الله بملاحظة الورع وعلق همته به، تمكن في مقام القناعة لتعود نفسه الإعراض عن كثير من المشكل والمتشابه واطلع منه على خبايا نفسه وما كانت تزعم أنها غير ملتفتة إليه بالقناعة. وكذلك إن نقله الله إلى مقام الزهد في الحلال أشرف منه على خدع نفسه في مقام الورع وما كانت تزعم أنه لا شيء فيه يتورع عنه، فلما بلغت إلى مقام الزهد في الحلال انكشف لها ضعفها في مقام الورع فصححته لإشرافها عليه. وكذلك إذا نقل الحق سبحانه عبده إلى مقام التوكل عليه وأعرضت نفسه عن أسباب دنياه مشكلها وحلالها، أشرف من هذه الحال على آفات مقام الزهد وما كانت النفس متعلقة به من الفضول وهي تزعم أنه مما لا بد لها منه لضرورتها وليس بمتعلق الزهد فيعرض عنه. وكذلك إذا أوصله مولاه إلى مقام الرضى والتسليم، تمكن